توافرت الأدلّة على ضرورة الاهتمام بأمر أهل البيت (عليهم السلام)، بوصفهم سفينة النجاة في وسط البحار المتلاطمة، فمن ركب سفينتهم كان في مأمن، ومن تخلّف عنهم فقد تخلّف عن الخير كلّه، وقطعًا فإن ركوب الخير يستلزم مقدّمات ومن أهمها الدعاء بصدق النية وخلوصها للتوفيق في الأمر ومواكبة الصالحين ومرافقتهم ومجالستهم؛ لذلك نجد العلماء يتسابقون بالتضرع إلى الله تعالى ليمكّنهم من حضور مجالس ذكر أهل البيت (عليهم السلام) بشكل عام ومجالس الحسين بشكل أخصّ ولا سيما في شهر الأحزان في ظلال المحرم الحرام.

إن ما ينبغي أن يلتفت إليه المؤمنون على وجه الخصوص هو أن مسألة استجابة الدعوة ليست متاحة للجميع، وقد نبّه القرآن على ذلك في مواضع كثيرة ومن بينها إخوة يوسف (عليه السلام) الذين لم يستجيبوا إلى الحقّ وسوّفوا التوبة نيّفًا وثلاثين عامًا، وقد أكّد العلماء على أنّ عدم توفيقهم إلى التوبة على الرغم من أنّهم كانوا أبناء نبيٍّ من الأنبياء هو إصرارهم على الباطل والكذب، وبعد أن أيقنوا أنّهم يخدعون أنفسهم بذلك توسّلوا بالتوبة وطلبوا العفو فتوفّقوا إليها. ومما ينبغي أن نلتفت إليه في أمرهم هو رأفة الله ورحمته إذ صبر عليهم كل تلك السنوات، وأبقاهم أحياءً ليتداركوا التوبة في حياتهم، فلو مات أحدهم قبل ذلك ما كان لينفعه نسبه وحسبه؛ بل كان يختم عليه بالتسويف والخيبة.

اليوم أيضًا كلنا كإخوة يوسف (عليه السلام) فقد سوّفنا وبالغنا في التسويف وتحجّبنا عن استجابة دعوة المعصوم بالحجب التي أفرزتها الذنوب والمعاصي، ومن لم يتوفّق إلى إزالة الحجب ليس له القدرة على استجابة المعصوم، ولا يخفى أن كثيرًا من الناس من حولنا فشلوا في استجابة أمر الله تعالى

قبل ذلك، والذي منعهم هو الذنب الذي يحول بين المرء وبين طاعة الله، فليس لأهل الباطل والرذيلة القدرة على التوفيق لاستماع صوت الحق والتجانس معه. وإن الجوارح التي أصبحت مطيّة المعاصي لا تليق بها أن تكون متزيّنة بحسن الولاء والإيمان، فاجتماع النقيضين محالٌ وغير منطقي.

وعلى هذا فإنّ دعوة الإمام الصادق (عليه السلام) في إحياء أمرهم ليست متاحة للجميع؛ بل سينقسم الأمر على حسب مستويات الناس، فمنهم من سيسعى بكل قوّة على وفق المعطيات مراعيًا للوقاية ومبادرًا إلى تعظيم الشعائر بكل ما أوتي من الحول والقوّة وهؤلاء من أهل الصفاء والسريرة الطيّبة الذين توفّقوا إلى التوبة فيسَّرَ الله لهم الأمر مع صعوبة الوضع والظرف وبما لا يتقاطع مع إجراءات السلامة والوقاية، ومنهم من لا يتصدّى بشكل يكون هو المبادر والقائم على العمل؛ بل يشارك الناس إذا أقاموا ويكتفي بالحضور وإكثار السواد، وهذا الصنف على الخير أيضًا، ولكنّ مقامه مختلف عن السابقين والمبادرين، ومن الناس أيضًا من يجعل من أمر استجابة الدعوة عرضيًا، فإن صادف أن كان مع المعزّين وإن فاته لا يهتم للأمر وهذا الصنف ممن فاته خير كثير. وهناك من يسعى إلى تعطيل المجالس ومحاربتها بالترويج ضدّها أو الاستخفاف بها أو منعها وهؤلاء من سُلبوا التوفيق ومنعهم ثقل المعاصي والذنوب وينبغي عليهم المبادرة إلى التوبة للتوفيق في خدمة المجالس والحضور إليها.

إن دعوة الإمام الصادق (عليه السلام) وإن كانت مطلقة وللجميع إلّا أن الاستجابة مخصّصة ببعض الناس دون بعضهم الآخر، ولا تستلزم استجابة أمرهم إقامة المجالس الكبيرة أو التي قد تكون شائكة ولاسيما في هذا الظرف الحرج من انتشار الوباء؛ بل يكفي إحياء أمرهم في إقامة المجالس الصغيرة حتى لو كانت على مستوى البيوت، فالمهمّ في هذا الجانب إحياء الأمر وبما يتناسب مع الظرف مع الاحتراز الشديد والتمسّك بأسباب الوقاية، وإلّا فإنّ المخالف لإجراءات السلامة والوقاية قد يكون هو الآخر مذنبًا ويتحمّل مسؤولية جمع الناس وأمنهم وسلامتهم.